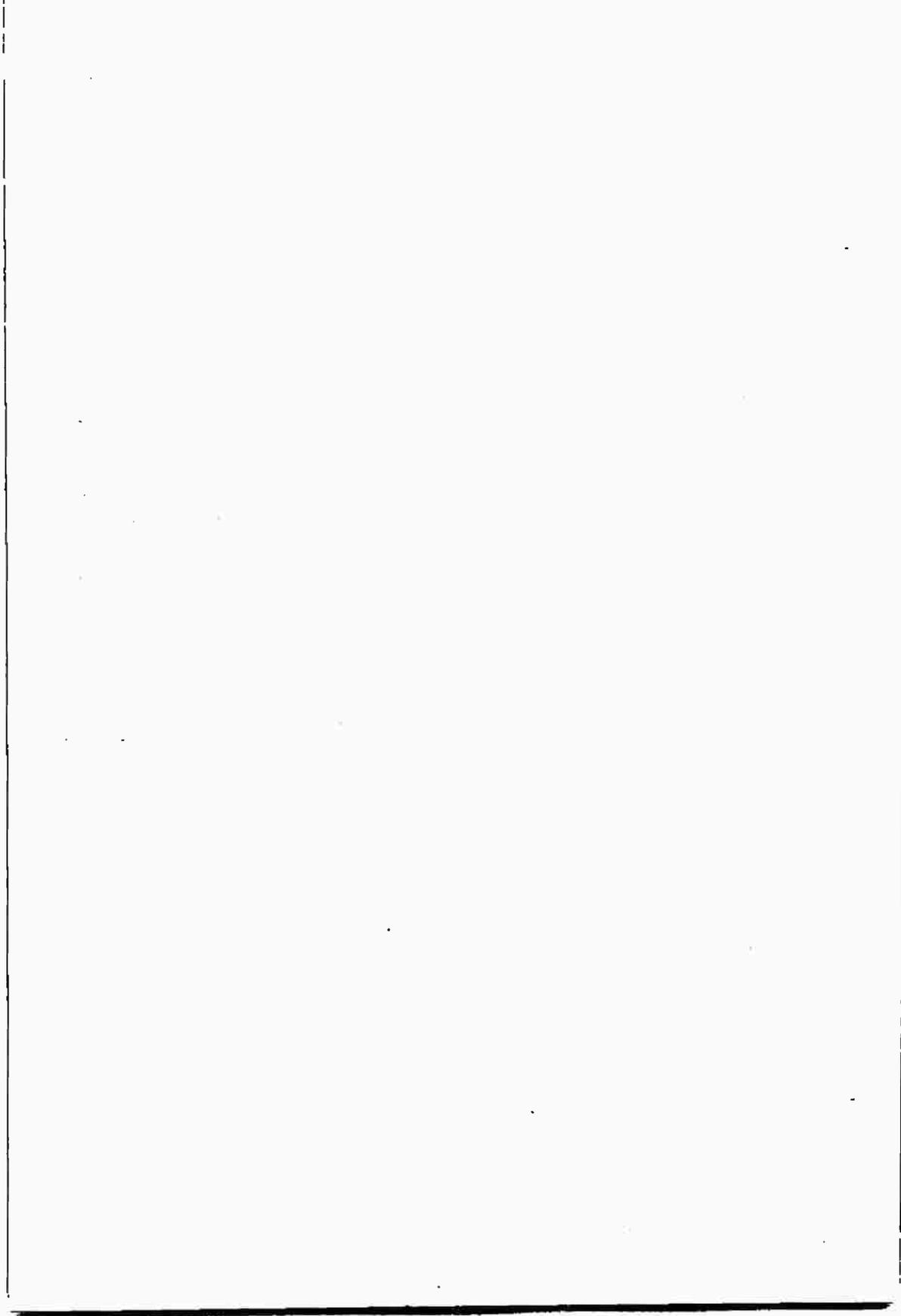


معتقده

فصل في اختلافهم فيه.

فصل في معتقده في الله.

فصل في معتقده في النبوات والرسل.



فصل فى اختلافهم فيه

لم يختلف الناس فى رجل اختلافهم فى أبى العلاء ولا تراوحوا
بشخص بين الكفر والإيمان تراوحهم به . فلا غرو إذا قضى مثل هذا التناقض
على الباحث فى أمره ألا يتلقى ما قيل عنه بالقبول، وأن يجنح إلى مقارنة ما
نطق به بما نقل عنه توصلاً إلى حكم بات فيه، إن خيراً فخير، وإن شراً
فشر .

وقد تأملت المختلفين فيه، فوجدتهم على ثلاثة أقسام:

فريق متزندقون، يكفرونه ويحبونه لكفره، ومنهم متفرنجة هذا العصر أو
مؤمنون يبغضونه لذلك .

وفريق يذهبون إلى صحة إيمانه وربما تغالوا فألحقوه بالأولياء الواصلين
وروا له الكرامات .

وآخرون متحيزون أمسكوا عنه، واكلوا أمره الخالقه . وأنا بادئ بذكر
أقوالهم فيه، ثم معقبها بما ثبت عن أقواله، مقسمة إلى فصول، كما فعلت
بأخباره فأقول:

ذكر غير واحد أنه كان متهماً فى دينه، وأنه اجتاز باللادقية ونزل ديراً
كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع كلامه فحصل له بذلك شكوك .
واستدلوا أيضاً على إلحاده بتجافيه عن أكل الحيوان خمساً وأربعين سنة قالوا:
وهذا من اعتقاد الحكماء المتقدمين لأنهم يرون فى ذبح الحيوان - تعذيباً له .
وسياتى الكلام على ذلك فى فصل مستقل . ونقلوا عن تلميذه أبى زكريا
التبريزى أنه قال: قال لى المعرى مرة: ما الذى تعتقد؟ فقلت فى نفسى: اليوم

أقف على اعتقاده. فقلت له: ما أنا إلا شاك. فقال: وهكذا شيخك. وقال في حقه بالباخرزى في "دمية القصر": "ضرب مالاً في أنواع الأدب ضريب، ومكفوف في قميص الفضل ملفوف، ومحجوب خصمه الألد محجوح. وقد طال في ظلال الإسلام أناؤه، ولكن ربما يترشح بالإلحاد إنأؤه، وعندنا خير بصره والله أعلم ببصيرته، والمطلع على سريرته وإنما تحدثت الألسن بإساءته، ككتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن، وعنوانه بالفصول والغايات، ومحاذاة السور والآيات، وأظهر من نفسه تلك الخيانة، وجذ تلك الهوسات كما يجد العير الصلبانه، حتى قال فيه القاضي أبو جعفر قصيدة أولها:

كلب عوى بمعرة النعمان لما خلا عن ربيعة الإيمان
أمعرة النعمان ما أنجبت إذ أخرجت منك معرة النعمان

انتهى.

ومن حكم بزندقته شمس الدين الذهبي، وأطال في ترجمته، وذكر له فيها قبائح. قال الصفدي: وأظن الحافظ السلفي قال أنه تاب وأناب. وتحامل عليه أبو الفداء في تاريخه وغض منه كثيراً، حتى اضطر ابن الوردي للرد عليه. وفي "الكوكب الثاقب" أن القاضي المنازى دخل عليه فذكر ما يسمعه من الطعن فيه، ثم قال: ما لى وللناس، وقد تركت لهم دنياهم، فقال المنازى وأخراهم أيضاً، فقال يا قاضى! وأخراهم أيضاً. وجعل يكررها. وفي هذه الرواية تحامل من المؤلف؛ فقد رواها ابن خلكان في ترجمة المنازى على أنه قال له: والآخرة أيضاً، وجعل يكررها، ويتألم لذلك، وأطرق فلم يكلمه إلى أن قام.

ونقل ياقوت عن "رسالة الغفران" أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أجلى أهل الذمة عن جزيرة العرب شق ذلك على الجالين، فيقال: إن رجلا من يهود خيبر. يعرف بسمير بن أدكن، قال فى ذلك:

يصول أبو حفص علينا بدرة رويدك إن المرء يطفو ويرسب
كأنك لم تتبع حمولة مآقط لتشبع، إن الزاد شىء محجب
فلو كان موسى صادقا ما ظهرتم علينا؛ ولكن دولة ثم تذهب
ونحن سبقناكم إلى المين فاعرفوا لنا رتبة البادى الذى هو أكذب
مشيتم على آثارنا فى طريقنا وبغيتكم فى أن تسودوا وترهبوا

ثم قال ياقوت: وهذا يشبه أن يكون شعره، قد نحله هذا اليهودى؛ أو أن إيراده لمثل هذا، واستلذاذه به، من أمارات سوء عقيدته، وقبح مذهبه. انتهى.

والعجب من ياقوت، كيف يزعم هذا الزعم، ومن أين أتى له أن هذه الأبيات من شعره، أو أنه أوردها استلذاذاً بها، وهو إنما جاء بها فى أثناء كلامه على الزنادقة وتقييح أعمالهم. وأحر أن يكون إيراده لها فى عرض إنكاره عليهم، من أبين الأدلة على حسن عقيدته. وليست رسالة الغفران ببعيدة على من يريد تحقيق ذلك.

وسئل فتح الدين بن سيد الناس. ما كان رأى الشيخ تقي الدين بن دقيق العبد فيه، فقال: كان يقول هو فى حيرة. فقال الصفدى: وهذا أحسن ما يقال فى أمره؛ لأن فى كلامه تناقضاً كثيراً. وإلى الله ترجع الأمور.

هذا ما وقفت عليه من كلامهم فى سوء عقيدته، إلا قليلا منه سيرد عليك فيما يأتى من الفصول.

ونقلوا عن رسالة ابن العديم أنه قال: إنى اعتبرت من ذم أبى العلاء ومن مدحه، فوجدت كل من ذمه لم يره ولا صحبه، ووجدت كل من لقيه هو المادح له.

وقال ابن الوردى بعدما أورد مراسلاته مع القاضى أبى الطيب الطبرى التى مر ذكرها فى أخباره: " وشهادة أبى الطيب فى الشيخ مقدمة على شهادة الغير، وحسن الظن خصوصا بالعلماء قد دل عليه القرآن والحديث، وهو لا يأتى إلا بخير. وكان شيخنا عبس حسن العقيدة فيه، واعترف الطبرى له ومدحه يكفيه:

شهادة الطبرى الحبر كافية أبأ العلاء قفل ما شئت أو فذر
من أعمد السيف عنه كان فى دعة ومن نضى السيف قابلناه بالطير

انتهى كلامه. وقوله قابلناه بالطير فيه تورية، والطير هو الطبرزين معرب ومعناه: فأس السرج، لأن فرسان العجم كانت تحمله تقاتل به، ويقال له عندهم التبر. كذا ذكر العجمى فى " قصد السبيل، فيما فى اللغة العربية من التدخيل".

ونقلوا أيضا عن رسالة ابن العديم المذكورة أنه قال: قرأت بخط أبى اليسر شاكراً المعمرى فى ذكره، وكان رضى الله عنه يرمى من أهل الحسد بالتعطيل، ويعمل تلاميذه وغيرهم على لسانه الأشعارن بضمونهما أقاويل الملحدة، قصداً لاهلاكه، وإثارة لإتلاف نفسه، فقال رضى الله عنه:

حاول إهوانى قوم فما واجهتهم إلا بإهوان
وحرشونى بسمایاتهم فغیروا نیة إخوانى
لو استطاعوا لوشوا بى إلى الـ مریخ فى الشهب وکیوان
وقال أيضاً:

غريت بدمى أمة ويحمد خالقها غريت
وعبدت ربي ما استطعت ومن برينته به بریت
وفرتنى الجهال حاسدة سدة على وما فریت
سمعروا على فلم أحدس وعندهم أنى هریت

قال الصفدى: "وأما الموضوع على لسانه، فلعله لا يخفى على من له لب. وأما الأشياء التى دونها، وقال بها فى "لزوم ما لا يلزم" وفى "استغفر واستغفرى"، فما فيه حيلة. وهو كثير، فيه ما فيه من القول بالتعطيل والاستحفاف بالنبوات. ويحتمل أنه ارعوى وتاب بعد ذلك كله. وحكى لى عن الشيخ كما الدين بن الزملى أنى أنه قال فى حقه: هو جوهره جاءت إلى الوجود وذهبت".

انتهى كلام الصفدى: قلت: أما استغفر واستغفرى فلم أقف عليه؛ فإن كان ما فيه يشبه ما فى لزوم ما لا يلزم، فيرد عليك ما يزيل الشك فيه:

وقال ابن الوردى فى تاريخه: وأنا كنت أتعصب له لكونه من المعرة، ثم وقفت له على كتاب استغفر واستغفرى فأبغضته، وازددت عنه نفرة، ونظرت له فى كتاب لزوم ما لا يلزم؟ فرأيت التبرى منه أحزم، فإن هذين الكتابين يدلان على أنه كان لما نظمهما عالماً حائراً، ومذبذباً نافرأ، يقر فيهما

الحق قد خفى عليه، ويود لو ظفر باليقين فأخذه بكلتا يديه، كما قال فى
مرثية أبيه:

طلبت بقبيداً من جهينة عنهم ولم تخبرنى يا جهين سوى الظن
فإن تعهدينى لا أزال مسائلاً فإنى لم أعط الصحيح فاستغنى

ثم وقفت له على كتاب "ضوء السقط" الذى أملاه على الشيخ أبى
عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهاتى، الذى لازم الشيخ إلى أن
مات، ثم أقام بحلب، يروى عنه كتبه، فكان هذا الكتاب عندى مصلحاً
لفساده موضحاً لرجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده، فإنه كتاب يحكم بصحة
إسلامه مؤهلاً، ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المتقدمة (وللآخرة خير لك من
الأولى)، فلقد ضمن هذا الكتاب ما يثلج الصدر، ويلذ السمع، ويقر العين،
ويسر القلب ويطلق اليد، ويثبت القدم، من تعظيم رسول الله ﷺ خير
بريته، والتقرب إلى الله بمدائح الأشراف من ذريته، وتبجيل الصحابة،
والرضا عنهم، والأدب عند ذكر ما يتلقى منهم، وإيراد محاسن من التفسير،
والإقرار بالبعث والإشفاق من اليوم العسير، وتضليل من أنكر المعاد،
والترغيب فى أذكار الله والأوراد، والخضوع للشريعة المحمدية وتعظيمها.
وهو خاتمة كتبه، والأعمال بخواتيمها. وقد يعذر من ذمه، واستحل شتمه،
فإنه عول على مبادئ أمره، وأوسط شعره، ويعذر من أحبه، وحرم سبه،
فإنه أطلع على صلاح سره، وما أصرار إليه فى آخر عمره؛ من الإنابة التى
كان أهلها، والتوبة التى تجب ما قبلها، وكان يقول رحمه الله: أنا شيخ
مكذوب عليه". انتهى كلامه بنصه.

قلت: وليس فى لزوم ما لا يلزم ما يتمل بالإنسان إلى حد التبرى منه،

كما ذكر الشيخ، والبيتان اللذان رواهما من مرثية أبيه لا يدلان على ما ذهب إليه، وإنما مراده أن علم الغيب محجوب عنه، فلا يدرى عن أبيه: أهو في شقاء أم نعيم، وهما مثل قوله من هذه القصيدة:

جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذى يراد بنا والعلم لله ذى المن

قال شارحه أبو يعقوب النحوى: "وهذا على معنى أن أمر السعادة والشقاوة مطوى عن العباد، وأن الأمور كلها بمشيئة الله تعالى، وهى مستورة ولهذا كره السلف أن يقول القائل: أنا مؤمن حقاً، بل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى؛ لا على معنى الشك فى الإيمان والاعتقاد، بل على معنى الخوف من سوء العاقبة، وخفاء علم الله تعالى فى ذلك، وانطواء أمر الخاتمة". انتهى.

وذكر ابن الوردى فى تاريخه أيضاً: أن حساده أغروا به وزير حلب، فجهز لإحضاره خمسين فارساً ليقتله، فأنزلهم أبو العلاء فى مجلس له بالمعرة.

فاجتمع بنوعمه إليه وتألوا لذلك، فقال: إن لى رباً يمنعنى، ثم قال كلاماً منه ما لا يفهم، وقال: الضيوف الضيوف! الوزير الوزير! فوق المجلس على الخمسين فارساً فماتوا، ووقع الحمام على الوزير بحلب فمات؛ فمن الناس من زعم أنه قتلهم بدعائه وتهجده، ومنهم من زعم أنه قتلهم بسحره ورصده. وهذه القصة رواها صاحب الكوكب الثاقب بزيادة تفصيل، فذكر عن الغزالي أنه قال حدثنى يوسف بن على بأرض الهركار، قال: دخلت معرة النعمان، وقد وشى وزير محمود بن صالح صاحب حلب إليه بأن المعرى زنديق لا يرى إفساد الصور.

ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل، فأمر محمود بحمله إليه من

المعرة، وبعث خمسين فارساً ليحملوه، فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة، فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان، قال: يا ابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة، والملك محمود يطلبك، فإن مذمناك عجزنا، وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوى الذمام، ويركب تنوخ الذل العار، فقال هون عليك يا عم، ولا بأس عليك؛ فلى سلطان يذب عنى ثم قام فاغتسل وصلى إلى نصف الليل، ثم قال لغلامه: أنظر إلى المريخ أين هو؟ فقال: فى منزلة كذا وكذا: فقال: زنه واضرب تحته وتداً وشد فى رجلى خيطاً، واربطه إلى الوتد. ففعل غلامه ذلك، فسمعناه وهو يقول: يا قديم الأزل، يا علة العلل، يا صانع المخلوقات، وموجد الموجودات أنا فى عزك الذى لا يرام، وكتفك الذى لا يضام، الضيوف الضيوف، الوزير الوزير! ثم ذكر كلمات لا تفهم، وإذا بهذه عظيمة، فسأل عنها، فقيل: وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها، فقتلت الخمسين. وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر: لا تزعجوا الشيخ، فقد وقع الحمام على الوزير. قال يوسف بن على فلما شاهدت ذلك، دخلت على المعرى فقال: من أين أنت؟ فقلت: من أرض الهركار، فقال: رعموا أننى زنديق ثم قال: أكتب. وأملى على أبياناً من قصيدة أولها:

استغفر الله فى أمنى وأوجالى من غفلتى وتوالى سوء أعمالى

ثم ساق صاحب الكوكب الشاقب سبعة أبيات من هذه القصيدة. وسأورها بتمامها عند الكلام على منظومه؛ فإنها من شعره المفقود: وهذه القصة رواها غير واحد، فلم يذكروا رصده للمريخ كما هنا، وهو الأشبه بمذهب أبى العلاء؛ فإن من يقف على كلامه فى المنجمين وتقبيح أعمالهم، يحكم بأن هذا من الموضوع علمه والله أعلم.

والخلاصة أن الذى ظهر لى من مطالعه مؤلفاته، أنه لم يكن ملحدًا كما يزعمون، بل كان مؤمنًا بالله وكتبه ورسله، وإنما كانت تقع له - بعض الأحيان أحوال يضيق بها صدره، فينفث نفثات يوهم ظاهرها، وكان الأولى به تركها. وهى مهما بلغت من الشناعة والبشاعة لا تصل إلى الكفر والإلحاد، بل فيهما ما إذا فارقت بما قاله فى ضده لظهر لك جليًا أنه لم يرد ما سبق إلى ذهنك فيه من أول وهلة كإنحائه تارة على الديانات، ومدحه لها تارة أخرى؛ فإنك لو قابلت بين القولين بإمعان لاقتنعت بأنه لم يرد بالذم الديانات نفسها، بل أراد متحليها المتاجرين بها، وكثير ما هم فى كل زمان. وإنما أتى الرجل من جهة حسدته وشائثيه، وولوع جماعة منهم بتقويله ما لم يقل، وإشهاره بما كانوا ينظمونه على لسانه من أقوال المعطلة والزنادقة، حتى صارت الأذهان لكثرة ما قر فيها من ذلك، إذا ألقى إليها شىء من شعره فيه إبهام، انصرفت إلى إساءة الظن به. وسيرد من أقواله ما وافق أقوال مشهورى المتصوفة، وكبار الزهاد، حذو القذة بالقذة. إلا أنها كتبت لهم، وكتبت عليه فى خلقه شئون. ولهذا اقتصر فى فصول معتقده على ما أثبتته فى مؤلفاته دون ما روى عنه غير معزو لشىء منها، وغالبه سخافات يتنزه شعر أبى العلاء عنهل، ولا يخفى وضعها على ذى لب، كما قال الصفدى. كنسبتهم إليه قول القائل:

إذا ما ذكرنا آدمًا وفعاله وتزويجه بنتيه لا بنيه فى الحنا

علمنا بأن الخلق من نسل فاجر وأن جميع الناس من عنصر الزنا

وهذا كلام لا يصدر إلا من معتوه فقد رشده، وحاشا لأبى العلاء أن

يكونه. ولا يخلو قائله من أحد أمرين: إما أن يكون مقرًا بالشرائع، عالما بأن

زواج الأخ بأخته لم يكن محرماً في شريعة سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام
 فيكون قوله هذا ضرباً من الهديان والهوس . وإما أن يكون منكراً لها، فيكون
 ذكره الزنا لا معنى له، فإن معرفة الحلال والحرام لا تتأتى إلا من الشرائع .
 فضلاً عما في البيتين من بذاءة وقلة أدب تنبو عنهما نفس أبي العلاء . ولست
 منكراً أنه ذكر سيدنا آدم عليه السلام في "لزوم مالا يلزم" بما كنت أحب له
 عدم ذكره، إلا أنه لا يبلغ في شناعته إلى هذا الحد؛ وغاية ما فيه لومه عليه
 السلام على أكله من الشجرة، وتسبه في أذى ذريته في الدنيا بخروجه من
 الجنة وسيأتي الكلام على ذلك في فصل مستقل . وقدرد على هذين البيتين
 القاضي أبو محمد الحسن بن أبي عقامة اليمنى بقوله :

لعمرك أما فيك فالقول صادق وتكذب في الباقي من شط أودنا
 كذلك إقرار الفتى لازم له وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

وليت القاضي تثبت من نسبة البيتين قبل تكلفه بهذا الشعر الركيك .
 ونسبوا إليه أشياء أخرى من هذا القبيل أضربت عن ذكرها نقادياً عن الاشتغال
 بالبعث . إلا أن ألم ببعضها إلاماً فيها يأتي من القصول المناسبة . كما أتى لم
 أتعرض لما أخذ عليه في "سقط الزند" ، لأنه لا يخرج عن كونه من الغلو
 الواقع لكثير من الشعراء ، وقد كفانا مؤونة البحث فية بقوله في خطبته :

"وما وجد لي من غلو في الظاهر بآدمي، وكان مما يحتمله صفات الله
 عز سلطانه، فهو مصروف إليه، وما صلح لمخلوق سلف من قبل أو غير أو
 لم يخلق بعد، فإنه ملحق به، وما كان محضاً في المين لا جهة له، فاستقبل
 الله العثرة فيه " .

وقد أورد شارحه في التنوير بعض أبيات من ذلك في شرح الخطبة .
ومما لم يذكره وقوله ، وهو عندي أشنع ما في " سقط الزند " :

باهت بمهرة عدناناً فقلت لها لولا الفصيصى كان المجد في مضر

فهذا ولا ريب من محضن المين الذى لا جهة له ، وقد استقال الله
العشرة فيه ، والله يغفر لمن يشاء . وما عداه ليس فيه شىء سوى الغلو المفرط .
على أنه لم يأت به إلا فى أبيات معدودة لا تتجاوز العشرة ، ولكن القليل من
هذا كثير . وعندى أن لا وجه لاغتفاره لقائله ، وفى غيره من الكلام مندوحة
عنه . ولعله سرى لأبى العلاء من أبى الطيب المتنبى ، فقد كان ولو عاً بهذا
النوع . ومنه قوله :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرنا شموساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه فى يوم معركة لأعيا عيسى
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

سامح الله أبا الطيب ، فما كان أغناه عن هذا الغلو الممقوت ، مع قدرته
على نظم ما هو أوقع فى النفوس ، وأخف على الأسماع ، وأقبح منه قبول
ممدوحه له ، وإجازته عليه ، ولا أدرى ما كان عند المعز فى قبوله قول ابن
هانى :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

اللهم إلا أن يكون ما نقل عن القوم من دعوى الألوهية فى الباطن
صحيحاً . وما فى " سقط الزند " دون هذين القولين بمراحل .

وقد رأيت أبا العلاء، شديد النكير على ابن هانئ وأضرابه في "رسالة الغفران" واستقبح منهم هذا الغلو، فلعله رجع عنه.

وقد عقد الثعالبي - فصلاً في يتيمته لما أخذ على أبي الطيب، جاء فيه بأشياء محجوبة. ومع هذا فلم ينتهجوا بإكفاره كما فعلوا مع أبي العلاء، وذلك لما وقر في النفوس من شهوته بالزندقة، كما ذكرت أنفاً، حتى كادوا يلصفون به كل شعر من هذا القبيل.

وقد رأيت بعضهم يروى له قول المتبنى:

أغاية الذين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

هذا وديوان أبي الطيب مشهور متداول في الأيدي، فما ظنك بغير المشهور؟

وكذلك أبو نواس - لما كان مشهوراً بالإجادة في وصف الخمر، نسبوا إليه ما لم يقله، فكثر المنحول في شعره...

ونقل عن بعض العلماء أنه كان يقول: أوشك هؤلاء الرواة أن ينسوا للمجنون كل شعر فيه ليلي!! وقوله هذا ينبغى للاديب أن يتنبه له، فلا يقدم على نسبة قول القائل بسبب اسم اشتهر به، ولهج بذكره، في شعره، فقد كان للشعراء أسماء شائعة بينهم خفت على ألسنتهم، وحلت في أفواههم، فكانوا كثيراً ما يأتون بها زروا، نحو: ليلي، وهند، وسلمى، ودعد، ولبنى، وعفراء، وأزوى، وريا، وفاطمة، ومية، وعلوة، وعائشة، والرباب، وجمل وزينب، وأشباههن - ذكر ذلك ابن رشيق، ثم قال: وأما عزة وبثينة فقد حماها كثير وجميل، حتى كأنما حرمتا على الشعراء. انتهى.

وكما اشتهر بعض الشعراء بأسماء، اشتهر غيرهم بفنون وأنواع غلبت عليهم، وسهلت على نفوسهم، فأجادوا القول فيها، كأبي نواس فى الخمر، والبحتري فى الطيف، وابن المعتز فى التشبيهات، وديك الجن فى المرائى، وأبى الطيب فى الأمثال والحكم، وابن الرومى فى الهجاء. بل رأيت بعض الشعراء، غلبت عليهم ألفاظ استعملوها كثيراً كأدم دفر عند المعرى، وابن ودى عند محمود سامى البارودى، ومن تتبع شعر كل شاعر: ربما لا يعدم أمثالها فيه.

فيكون اقتصارنا على ما أثبتته أبو العلاء فى مؤلفاته، أدعى إلى الإنصاف، وأبعد عن الاعتساف.

واعلم أرشدك الله، أنى لم أنتصر له فى بعض المواضع جنوحاً إلى عصبية أو استرسالاً مع هوى. ولكنى وقفت فى الكثير من أقواله على اعتقاد صحيح، وإيمان ثابت لا يخالطه شك فكان تأويل ما عداها بما يحتمله اللفظ أولى من التسرع إلى إكفار مؤمن والحكم عليه بالزندقة خصوصاً وأن ما يدل على إيمانه صريح فى لفظة، والذى يوهم محتمل لوجهين، فحمله على ما يوافق الصريح من أحد وجهيه أحق وأصوب.

فإذا رأيت شيئاً من ذلك فلا تتسرع فى الإنكار على. بل عليك بتحسين الظن، ومراجعة النظر، تجد ما قلته غير بعيد: وحسبك ما أثاره على الإمام أبى حامد الغزالي " فى قوله: [أليس فى الإمكان أبداع مما كان] حتى وضعوا فيه المؤلفات، وشغلوا الناس بالترهات ولاشك أنه لم يرد بقوله هذا ما ذهبوا إليه وتأولوه - وأى مسلم يخالجه ريب فى عقيدة هذا الإمام، وهو حجة الإسلام؟.

ولل در أبى العلاء حيث يقول:

جوارك هذا العالم اليوم نكبة
عليه وليس البين عنه ميسراً
سيعلم ذاك المدعى صحة الهدى
متى كان حق أبنا كان أخسراً

ويقول:

لحى الله قوماً إذا جثتهم بصدق الأحاديث قالوا كفر

ويقول:

أما فى الأرض من رجل لبيب فيفرق بين إيمان وكفر

وقال أيضاً:

لا تقيد لفظى على فإنى مثل غيرى تكلمى بالمجاز

ومثله قوله:

وليس على الحقائق كل قولى ولكن فيه أصناف المجاز

قصيدة لأبي العلاء المعري (١)

هذه قصيدة لأبي العلاء لا توجد في "الديوان" وقد أوردها الصفدى
في "الوقى بالوفيات" عن سبط بن الجوزى فى ترجمة أبى العلاء .

من غفلتى وتوالى سوء أعمالى	استغفر الله فى أمنى وأوجالى
مشاة وقد ولا ركبان أجمال	قالوا هرمت ولم تطرق تهامة فى
ولا ابن عمى ولم يعرف منى خالى	فقلت إنى ضرير لم يحج أبى
قوم سيقضون على بعد ترحالى	وحج عنهم قضاء بعد ما ارتحلوا
أولاً، فإنى بتار مثلهم صالى	فإن يفوزوا بغفران أفز معهم
فيه نصيب وهم أهلى وأشكالى	ولا أروم نعيمًا لا يكون لهم
أم يقتضى الحكم تعابى وتسالى	فهل أسر إذا حمت محاسبتى
ولا أنادى من الكفار أمثالى	من لى برضوان أدعوه فيرحمنى
ومت لم يخطر وأمنى على بالى	باتوا وتحفى أمانهم مصورة
فأصبحت وقعًا عنى بأميال	وفوقوا لى سهاماً من سهامهم
وجندهم بين طواف ويقال	فما ظننك إذ جندى ملائكة

(١) قد أشار المغفور له العلامة المحقق أحمد تيمور باشا - إلى هذه القصيدة - بالمداد الأحمر
فى جذاذة من الورق، فأثرنا إثباتها بنصها وهى التى أرسلها لمجلة المقتبس الأستاذ
مرحليوت أستاذ العربية بكلية أكسفورد وقال: إن الصفدى أوردها فى "الوقى بالوفيات"
عن سبط ابن الجوزى فى ترجمة أبى العلاء .

لقيتهم بعضى موسى التي منعت
أقيم حيني وصوم الدهر ألفه
عيدين أفطر في عامي إذا حضرا
إذا تنافست الجهال في حال
لا أكل الحيوان الدهر مائة
وأعبد الله لا أرجو مثوبته
أصون ديني عن جعل وأمثله
فرعون ملكا ونجت آل إسرار
وأومن الذكر أكاراً بأصال
عيد الأضحى يقفو عيد شوال
رأيتني في خسيس القطن سريالي
أخاف من سوء أعمالى وآمالى
لكن تعبد إكرام وإجلال
إذا تعبد قوام بأعمال

تمت

فصل في معتقده في الله

من زعم أن أبا العلاء كان من منكرى وجود الإله جل وعلا، فقد زعم باطلا، وأسرف في الشطط، ودل على جهله بحقيقة معتقده. وهيهات أن تنهض له حجة، أو يجد لزعمه مستنداً، لو طالبناه بالدليل.

ونحن مثبتون في هذا الفصل من أقواله ما ليس وراءه متسع لطاعن، أو مجال لمقول، ويادتون منها بثلاثة أقوال، ربما خفي المراد منها على كثيرين، فأولوها على غير ما ينبغي أن تؤول، ثم نتبعها بما يكشف الرين عن عقيدة الرجل في خالقه.

أو لها قوله:

قلتم لنا صانع حكيم قلنا: صدقتم، كذا نقول
زعمتموه بلا مكان ولا زمان ألقولوا
هذا كلام له خبي معناه ليست لنا عقول

وليس في هذه الأبيات إنكار لوجود الإله، وحسبت منها قوله: "قلنا صدقتم كذا نقول"، لكن يؤخذ من ظاهرها إثبات الزمان والمكان له تعالى، وهو ما لا يقول به إلا المجسمة وأضرابهم. تنزه الله عما يقولون. وقد ذكر صاحب معاهد التنصيص أن الفخر الرازي أورد هذه الأبيات في كتابه الموسوم بالأربعين، وأعقبها بقوله: "وقد هذى هذا في شعره"، وقد وقفت على نسختين من هذا الكتاب فلم أجده قال ذلك، فلعل العبارة تحرفت على صاحب المعاهد، فتوهم منها ما ذكره. ولما كان المقام يحتاج إلى تفصيل

لاستيضاح ما يرمى إليه أبو العلاء، اقتضى أن تنقل إليك عبارة الأريعيين ثم نعقبها بما ظهر لنا في هذه الآيات: قال "الفخر" في مبحث حدوث العالم، وإيراد شبهات المخالفين وردها .

"السؤال الرابع: إذا قلنا كان الله موجوداً في الأزل، وسيكون موجوداً في الأبد، فقولنا كان يفيد أن أمراً كان موجوداً وحاصلاً، وقد انقضى وما بقى. ويكون يفيد أن أمراً سيصير موجوداً وحاصلاً، وبعد ما حصل، فإذا كل ما يصدق عليه أنه كان وسيكون، فهو محكوم عليه بكونه متجدداً متغيراً، فذات الله تعالى لما كان واجب الدوام، ممتنع التغير، وجل أن لا يصدق عليه البتة أنه كان في الأزل، وسيكون في الأبد، وأنه كائن الآن. ثم لما جربنا عقولنا وجدناها حاكمة بأن كل ما لا يصدق عليه أنه كان قبل وسيكون بعد وأنه كائن الآن، فهو عدم محض: وعند هذا قال المنكرون إنكم لما أثبتتم ذاته منزهة عن الجهات والأين والأوضاع، خرج هذا الإثبات عن العقل، واقترب من العدم المحض، ثم إنكم لما أثبتتموه منزهاً عن أن يصدق عليه قولنا ويكون وهو كائن فهذا تصريح بالعدم المحض. فإن أدخلتموه تحت قولنا كان ويكون وهو كائن، واقتضى ذلك الحكم بكونه متجدداً متغيراً، فكيف الخلاص من العقد المحيرة، والمضايق المضلة المعمية. ونظم المعرى هذا المعنى في شعر له فقال... " انتهى .

ثم أورد الآيات، إلا أنه روى مكان قوله "زعمتموه"، "ثم زعمتم" وشرع في الرد على هذا السؤال. فقال:

"الجواب عن السؤال الرابع: وهو قوله إن كل ما يصدق عليه كان ويكن فهو متجدد متغير، فتقول المراد من قولنا كان ويكون استمراره مع

الأزمة الآنية والأزمة الماضية، من غير أن يكون متغيراً بحسب تغير هذه الأزمة، وهذا المعنى لا يدركه إلا العقل الذى نوره الله بنور هدايته. وإن كان الوهم والخيال يعجزان عنه. " انتهى كلامه.

ثم ساق حجج المشايخ على بقاء الصانع بما يخرج من قصدنا هنا ولا يخفى ما فى قوله إن هذا المعنى لا يدركه إلا العقل الذى نوره الله بنور هدايته فإذا علمت أن مذهب السلف رضى الله عنهم فى الصفات النقية، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا ونحوها، أنها صفات ثابتة وراء العقل وما كلفنا إلا اعتقاد ثبوتها والتصديق بها من غير تفسير ولا تأويل، مع عدم التحسيم والتشبيه، لئلا يضاد النقل العقل - ظهر لك أن عبارة أبى العلاء إنما ترمى إلى هذا المعنى، وتشير إلى هذا القصد فمراده أن مثل هذه الأمور لا تتسع العقول لإدراكها، بل هى مما استأثر الله بعلمه. وليس فى الآيات ما يمنع من حملها على ذلك. بل كيف يتصور فى الرجل اعتقاد التجسيم ونحوه، وهو القائل فى موضع آخر:

تعالى الله وهو أجل قدراً من الإخبار عنه بالتعالى

ومن يذهب فى التزيه إلى هذا الحد لا يتصور فيه اعتقاد التجسيم: ثم أعلى أن مذهب السلف يرجحه كثيرون من المتكلمين. وكان الأمامان مالك والزهرى يقولان به، بل هو عقيدة الإمام أحمد بن حنبل وأتباعه إلى يومنا هذا. وإنما رجحوه لما فيه من السلامة من تسيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى، وهو الأوفق لحمل العامة عليه، صيانة لعقولهم عن الزلل، كما فصله الإمام الغزالي فى "الجام العوام، عن علم الكلام". وقد وقفت على فصل للفخر الرازى فى تفصيل هذا المذهب، ذكره فى تفسيره الكبير عند قوله

تعالى: "ثم استوى على العرش" مع أن هذا الإمام من كبار الأشعريه القائلين بالتأويل.

ولله در الإمام خميس بن على الواسطى حيث يقول:

تركت مقالات الكلام جميعها لمبتدع يدعو بهن إلى الردى
ولازمت أصحاب الحديث لأنهم دعاة إلى سبل المكارم والهدى
وهل ترك الإنسان في الدين غاية إذا قال قلدت النبى محمداً

على أن كثيرا من أئمة الكلام أيضاً يرجحون مذهب الخلف في تأويلهم هذه الصفات تأويلاً يليق بحلال المولى عز وجل، لما في هذا المذهب من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم. ولكن من أصحاب المذهبين وجهة لا يريدون بها إلا الوصول إلى الحق، فرضى الله عنهم أجمعين، وجزاهم عنا أحسن الجزاء.

الثانى من الأقوال قوله:

أما الإله فأمر لست مدركه فاحذر لجيلك فوق الأرض إسقاطاً

وليس في هذا أيضاً إنكار لوجود الله تعالى وإنما فيه الإيماء إلى عجز البشر عن إدراك كنه ذاته تعالى. ولعمري ما نطق إلا بالصواب. وأين لمخلوق ضعيف لا يصل إلى كنه نفسه من الوصول إلى هذا المقام؟ وفي كتاب تأييد الحقيقة العلية للسيوطى. قال شارح منازل السائرين في بيان عجز العقول عن إدراك الذات المقدس، وترس الفكرة في ذلك. "يعرف العبد أن عقله يعجز عن إدراك كل الموجودات فضلا عن خالقها وقد عجزت العقول

عن إدراك الخاصية التي يجذب بها المغناطيس الحديد، والسقمونيا والأخلاق الصفراوية، إلى غير ذلك، مع القطع بوجودها فإذا عرف العبد عجزه، وأيس من الوقوف على غاية مطلبه، حملة ذلك على التمسك بحبل التعظيم والإجلال وسلم بذلك من الوقوع فى شىء من الاحتلال". انتهى.

وفيما نقل عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه كان يقول:

"التوحيد أن تتوهمه" ويقول. "كل ما أدركته فهو غيره". وكان الصديق رضى الله عنه يقول. "لا تدركه الأبصار"، فالأكثر على حمل البصر هنا على الجارحة، من حيث إنها محل القوة.

وقيل هو إشارة إلى ذلك وإلى الأوهام والأفهام. فاليست على هذا عقد لمعنى هذه الآية الكريمة. وقريب منه قوله من قطعة إلى أخرى.

وإن إلهى إله السـمـا رب الوهود ورب النـبـك
سألت المحدث عن شأنه فما زال يضعف حتى ارتبك

الثالث: قوله:

متى عرض الحجا لله ضاقت مذاهبه عليه وإن عرضنه

ومعناه ظاهر بين، يشبه ما فى القول السابق. وقد فسرهم بعضهم. بقوله: "أى لا يزال عقل الإنسان يتسع مجاله فى الأمور، ويستعمل أنواع القياس، حتى ينتهى إلى الله تعالى. فإذا انتهى إليه ضاقت المذاهب عليه، فلم يعلم أكثر من أنه سبحانه خالق المخلوقات" انتهى.

وقد حسن أبو العلاء فى قوله بعد هذا البيت.

وقد كذب الذى يغدو بعقل لتصحيح الشروع وقد مرضنه

الشروع. جمع شرع. قال بعض الفضلاء. "مرض الشرائع أن تخفى أسبابها، فلا يوقف على حقائقها، فيظن الناظر فيها أنها فاسدة، وإنما الفاسد عقله، لأنه تعاطى سرًا غامضًا ليقف عليه انتهىز

قلت: فليت المتجحين كل يوم بإصلاح الدين الإسلامى ليوافق روح العصر كما يزعمون، ينظرون نظرة فى هذا البيت، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

وبعد، فليس فى كلام أبى العلاء ما يوهم نقصًا فى حق الخالق سبحانه وتعالى، فضلًا عن إنكاره وجوده، غير هذه الأقوال. وقد عرفت أنها ليست فى شىء من ذلك البتة فلم يبق إلا أن نسر ذلك عيون أقواله الدالة على حسن معتقده فى خالقه. قال:

للمليك المذكرات عبيد	وكذلك المؤنثات إماء
فالهلال المنيف والبدر والفرقد	قد والصبح والشرى والماء
والثريا والشمس والنار والنثرة	والأرض والضحى والسماء
هذه كلها لربك ما عابك	فى قول ذلك الحكماء
خلنى يا أحنى استغفر الله	فلم يبق فى إلا الذمءاء

وقال:

إذا قيل لك أحسن الله مولاك فقل. آرا

آرا. كلمة فارسية، ومعناها نعم. وقال:

بعلم إلهي الضعف شيمتي فليست مطيقاً للغدو ولا المرمى
غبرت أسبراً في يديه ومن يكن له كرم تكرم بساحته الأسرى
أصبح في الدنيا كما هو عالم وأدخل ناراً مثل قيصر أو كسرى
وإني لأرجو منه يوم تجاوز فيأمر بي ذات اليمن إلى اليسرى
وإن أعف بعد الموت مما يربني فما خطي الأدنى ولا يدي الخسرى
اليسر هنا، من اليسرى ضد العسر، وليست من اليسار ضد اليمن

وقال:

الله لا ريب فيه وهو محتجب بآد وكل إلى طبع له جذباً

وقال:

لا تكذبين فإن فعلت فلا تقل كذباً على رب السموات تكسباً
فالله فرد قادر من قبل أن تدعى لآدم صورة أو تحسباً
وإذا انتسبت فقلت أنى واحد من خلقه فكفى بذاك تنسباً

وفي معنى البيت الثاني قوله من قطعة أخرى.

ما زال الله يظهر دائبياً إذ آدم وأبوه في الإضممار

لعله أراد بآييه: التراب الذي خلق منه، وفي بعض النسخ: وبنوه وهو

ظاهر.

وقال:

ولكن مولى الموالى حبا
وإن جاء موت فقل مرحباً

مرائيه الإخوان يصدق ويكذب
وقد عشت عيش المستضام المعذب

على ما كان من عمد وسهو

والسول يطلب فى السحاب الأسول

ظلماً فليت أباهما الفظ موءود
مزود إن قلبى منك مزءود

إذا انقضى الإمهال والمهل
فكل ما لاقينته سهل

لكنى لإلهى خائف راج
وكل أزهر فى الظلماء خراج

ولم يحبنى أحد نعمة
نصحتك فاعمل له دائماً

ومن طمعه فى عفو ربه، قوله:

أرى اللب مرآة اللبيب ومن يكن
أأخشى عذاب الله والله عادل
ومثله قوله:

وما أنا يائس من عفو ربي
ومثله قوله أيضاً:

لم لا أومل رحمة من قادر
وقال يذكر خوفه من العقاب:

طوبى لمزءودة فى حال مولدها
يارب هل أنا بالغفران فى ظعنى
وقريب منه قوله:

قد فنى الوقت فما حيلتى
إن ختم الله بغرفانه
وقال فى خوفه وطمعه:

أما الحياة فلا أرجو نوافلها
رب السماء ورب الشمس طالعة

ولله دره حيث يقول:

ليفعل الدهر ما بهم به
لا تياس النفس من تفضله
إن ظنوني بخالقي حسنة
لو أقامت في النار ألف سنة
وقال:

أرى انكفائي إلى المنايا
أثبت لي خالقا حكيمًا
أغنى عن الأسيرة الكفاة
ولست من معشر نفاة
وقال:

سبحان من برأ النجون كأنها
لو شاء ربك صير الشرطين من
در طفا من فوق بحر مائج
هذى الكواكب عند أدنى ثائج
ليكون زينًا للأمير التائج
والتاج تقوى الله لا ما رصعوا
وقال من أخرى:

فزعوا إلى ذكر المليك وحسبهم
أنسا بذلك في الضمير الواجج
وقال:

أحاذر السسيل ومن لي بمنه
والوقت لا يفتأ في مرة
جنان إذا أسمعى رعد
مقربًا من أحل بعده
غيمة والنميمة والقعدة
فراقب الخالق بالغيب في الـ

أراد الهيئة من القيام والنوم والقيود، فجاء بها على فعله بكسر الأول وهو عقد لمعنى قوله تعالى: "الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم

ومعنى الآية، والله أعلم. الذين لا يغفلون عنه تعالى فى عامة أوقاتهم، كما ذهب إليه بعض المفسرين.

وقال أبو العلاء:

إذا كنت من فرط السقام معطلا فيا جاحدا شهد أنى غير جاحدا
أخاف من الله العقوبة أجلا وأزعم أن الأمر فى يد واحد
فإنى رأيت الملحدىن تعودهم ندامتهم عند الأكف اللواحد
ليت شعرى كيف يرمى بالإلحاد من يخاطب الملحدىن بمثل هذا الكلام؟
وفيهم يقول أيضاً:

أما المجاور فارعه وتوقه واستعف ربك من جوار الملحد
ليس الذى جحد المليك وقد بدت آياته بأخ لمن لم يجحد
ويقول:

إذا ما أخلدت أمم بجهل فقابلها بتوحيد السيوف
كأنا فى سجايانا نقود كثيرات البهارج والزيوف
وهذى الأرض للملك المرجى نلم بها كإمام الضيوف
وقال:

تعالى الله كم ملك مهيب تبدل بعد قصر ضيق لحد
أقر بأن لى ربا قديراً ولا ألقى بدائعه يجحد
وقال:

بوحدانية العلام دنا
سألت عن الحقائق كل قوم
سوى أنى أزول بغير شك
وقال:

ولقد وجدت ولاء قوم سبة
وقال:

يسمون بالجهل عبد الرحيم
وما بلغوا أن يكونوا له
ولكنه خالق العالم
تعمده يغنك بالهدى أن
وعبد العزيز وعبد الصمد
عبيداً وذلك أقصى الأمد
بين ذائب أجسادهم والجمد
تدرس مغنيهم والعمد

المغنى، والعمد. كتابان أحدهما فى علم الكلام، والآخر فى علم
الأصول وهما للقاضى عبد الجبار بن أحمد، من كبار أئمة المعتزلة، المتوفى
سنة خمس عشرة أو ست عشرة وأربعمائة، ولأبى محمد عبد الله بن العباس
الامهرمزي المعتزلى كتاب اسمه المغنى أيضاً، إلا أن ذكره مقروناً بالعمد يدل
على أن المراد الأول.

وقال أبو العلاء:

كم غيرتنا بأمر خط حادثة
وربنا الله لم تلمم به الغير

وقال:

ما زال ربك ثابتاً فى ملكه
ينمى إليه للعباد جوار

وقال:

والجهل أغلب غير علم إننا نفى ويبقى الواحد القهار

وقال فى الإقرار بالذنوب من قطعة:

غفران ربك قل ما فعل الفتى ما ليس محوجة إلى استنفار

صدق الله فغفرانك اللهم . وقال:

رجزت بتسبيح المليك حمامة بالشام توطن أو تحل حجازا

والطير مثل الإنس تعرف ربها وترى بها الشعراء والرجازا

وقال فى معناه:

سبح الله ناعب صوته: غا ق، وكدرية تصيح: قطا

وقال:

صنعة عزت الأنام بلطف وعزتها إلى القدير العوازي

ملك أنشأ السموات فالبدر رلديه فى صورة الجلاواز

كم له كوكب أبر وأز الناس حتى سطا على أبرواز

وقال:

لنا رب وليس له نظير يسير أمره جبلا ويرسى

تظل الشمس ماهنة لديه فما بلقيس أم ماست برسى

وقال:

إذا كنت بالله المهمين واثقا فسلم عليه الأمر فى اللفظ واللحظ

يد برك خلاق يدير مقادراً
تخطيك إحسان الغمام أو تخطى
وقال:

وسرت عمرى إلى قبرى على مهل
وقد دنوت فحق الخوف والهلع
ما نحن أم ما برايا عالم كثر
فى قدرة بعضها إلا فلاك يبتلع
وقال:

ندين بأن الله وتر وخوفه
رشاد فصلوا الوتر فى الدهر والشفعا
وقال:

الأرض لله ما استحى الحلول بها
أن يدعوها وهم فى الدار أضياف
تنازعوا فى عوارى فبينهم
نبيل حطام، وأرماح، وأسياف
إن خالفوك ولم يجرر خلافهم
شراً فلا بأس إن الناس أخياف

أخياف. أى مختلفون، ومنه. إخوة أخياف، إذا كانت أمهم واحدة
وأباؤهم شتى، فإذا كانوا لأب واحد من أمهات شتى، قيل. هم أبناء علات
وقال فى معنى ما تقدم.

هو الفلك الدوار أجراه ربه
على ما ترى من قبل أن تجرى الفلك
له العز لم يشركه فى الملك غيره
فيا جهل إنسان يقول. لى الملك
ومثله قوله:

ويقول دارى من يقول واعبدى
مه فالعبيد لربنا والدار
وقوله أيضاً:

والملك له من يظفر بنيل غنى يردده قسراً وتضمن نفسه لدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة من التراب لكان الأمر مشتركاً

ذكر الإسحاق فى تاريخه أن السلطان سليمان العثمانى لما فتح مصر نزل
بالروضة فى مكان أعد له بالمقياس، ونقل عن القطبى أنه رأى هذين البيتين
مكتوبين بخطه بأعلى المقياس على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تكاد تظهر
إلا بالتأمل، ومرقوم تحتها. كتبه الفقير سليم. ثم قال. ولعمري إن كان
هذان البيتان من نظم المرحوم فهما فى غاية البيان والبراعة، ونهاية فى الشعر
العربى الفصيح المنسجم، وإن كان تمثل بهما فهما أيضاً مرتبة عالية فى حسن
التمثيل ولطف الاستحضار. انتهى. قلت. أما كونهما له فقد ثبت خلافه،
فلم يبق إلا أنه تمثل بهما. وما هو بكبير على فضل هذا السلطان وإطلاعه.
وسلاطين آل عثمان، وإن اشتهر عنهم قلة الاهتمام باللغة العربية، فقد نبغ
منهم جماعة فيها. منهم. السلطان محمد الفاتح، وفضله فى الاشتغال
بالعربية غير منكور. ومن شيوخه المولى خواجه زاده، قرأ عليه متن عز الدين
الزنجانى فى التصريف، وكانت العلماء تجتمع عنده للمناظرة وتعجبه
مباحثاتهم. ويحكى أنه كان فى صغره مهتم بالطلب فأمر والده السلطان مراد
المولى شمس الدين الكورانى بالتشديد عليه، فصعد بأمره حتى ضربه مرة
ضرباً موجعاً، ولم يزل به حتى ختم القرآن الكريم فى مدة يسيرة، ومنهم
السلطان مراد الثالث ابن سليم المتوفى سنة ١٠٠٣. كان أجمل أهل بيته علماً
وأدباً وذكاءً وفهماً. اشتغل بالتصوف وبرع فيه، ونظم الشعر باللغات الثلاث.
الفارسية والتركية والعربية. ومنهم. السلطان أحمد بن محمد حفيد السلطان
مراد المار ذكره. كان من فضلاء وقته، مال للأدب والمحاضرات، ونظم الشعر
بالتركية. وما يروى له من الشعر العربى قوله.

ظبى يصول ولا وصول إليه جرح الفؤاد بصارمى لحظيه
ما قام معتدلا وهز قوامه إلا تهتكت الستور عليه
يسقى المدامة من سلافة ريقه ويخصنا بالغنج من جفينه
عيناه نرجسنا وأس عذاره ريحاننا والورد من خديه
يا شعر فى بصرى ولا خده إنى أغار من النسيم عليه
عجبى لسلطان يعز بعدله ويجور سلطان الغرام عليه
لولا أخاف الله ثم جحيمه لعبدته وسجدت بين يديه

والبيتان الأخيران من قصيدة لابن روزيك الشيعى، أنى بهما السلطان

على سبيل التضمين.

رجع إلى شعراى العلاء

فمن دلائل إيمانه بالله، وتفويضه الأمر إليه، قوله:

رددت إلى ملك الخلق أمرى فلم أسأل متى يقع الكسوف
فكم سلم الجهول من المنايا وعوجل بالحمام الفيلسوف
وقال:

والروح طائر محبس فى سجنه حتى يمكن رده بالإطلاق
سيموت محمود ويهلك آلك ويدوم وجه الواحد الخلاق
وقال:

أزول وليس فى الخلاق شك فلا نبكوا على ولا تبكوا

خذوا سيري فهن لكم صلاح

وقال:

تسمت رجال بالملوك سفاهة

أرى فلکاً ما دار إلا لحكمة

وقال:

إن يرسل النفس في اللذات صاحبها

ومن يطهر بخوف الله مهجته

وقال:

شفاء ما بك أعياني وأعيাকা

مالي أراك غيباً لست تقدران

وقال:

يا خالق البدر وشمس الضحى

وكل ملك لك عبد وما

قدر رامت النفس لها موئلاً

إن الذي صاغك يقضى بما

البحر في قدرته نغبة

وقال:

إله الأنام ورب الغنم

لنا الفقر دونك والملك لك

وقال:

فلا تسأل المرء الغنى عطاءه

ورج الغنى من ربك المتعالى

وقال:

أما ترى الشهب فى أفكها انتقلت

بقسرة من ملك غير متقل

وقال:

موت لأننا حلفاء نقص

ويبقى من تفرد بالكمال

وقال:

حكم تدل على حكيم قادر

متفرد فى فى عزة بكمال

وقال:

توهم بعض القوم فأصلوا

يقين أمور بات يتبعها الوهم

جهلنا، ولكن للخلائق صانع

أقر به فسل من القوم أوشهم

وقال فى رد تأثير لله تعالى:

وقد يأمر الله الكهام إذا نبا

فيفرى وقد ينهى الحسام فيكهم

وزاد هذا المعنى وضوحاً بقوله وأجاد:

لو ينطق السيف نادى ليس له عمل

إذا قضى مالك الأفلاك أنضانى

متى أراد فصفحاهى اللذان هما

بحر الردى حياض الموت حوضان

وإن كهت فأمر الله أكهمنى

وإن مضيت فأمر الله أمضانى

وقال:

مسا فى بنى آدم غنى
يغنى الذى مساله فناه
بل كلهم مقتتر عديم
وذلك الواحد القديم
وقال:

رأيت سجايا الناس فيها تظالم
ولا ريب فى عدل الذى خلق الظلما
وقال:

فساد وكون حادثان كلاهما
شهييد بأن الخلق صنع حكيم
وقال:

أبا لقدر المتساح تدين جن
وتعلم أن مالم يقص صعب
تسمع غير هائية الرجوم
فما تخشى المنية فى الهجوم
بإذن الله ينفذ كل أمر
يفتنه فيض أدمعك السجوم
يجوز بحكمه موت الشريا
وأن تبقى السماء بلا نجوم
وكم وجه الفتى من بعد ضحك
وأضحك بعد إفراط الوجوم
وقال:

إذا مدحوا آدميًّا مدح
وذاك الغنى عن المادحين
ت مولى الموالى ورب الأمم
ولكن لنفسى عقدت الذمم
له سجد الشامخ المشمخر
على ما بعزنيه من شمم
ومففرة الله مرجوة
إذا حبست أعظمى فى الرمم
وقال:

أدين برب واحد وتجنب
قبيح المساعي يظلم دائن
وقال:

إذا ما شئتم دعة وحفضا
ولا يعقصد لكم أمل بخلق
وقال:

مطيتى الوقت الذى ما امطيته
وما أحد معطى والله حارمى
وقال:

لعمرى خير فى كل شدة
ولا ملك إلا الذى عز وجهه
وقال:

تهجد معشر ليلا ويمنا
إلهك أوجد الأشياء جمعًا
وربك أنجد الأقوام حتى
فمجد فلم يخسر أناس
ولنختم هذا الفصل بقوله:

تشابهت الأشياء وصورة
وربك لم يستمه له بشبيهه
هذه أقوال من يتهمه المتخرون بإنكار الإله، سقناها إليك لتكرر النظر

فيها - المرة بعد المرة، ثم نكلك إلى محاسبة نفسك، ومحاكمة فكرك هل ترى فيها غير التوحيد والتنزية، وإجلال اسمه تعالى والطمع في رحمته والخوف من عقابه، والحض على التقوى؛ والإنكار على الملحدين؟! ولا نخالك بعد ذلك إلا منصفه إن كنت من المخلصين.

فصل فى معتقده فى النبوات والرسول

يتهم الكثيرون أبا العلاء بجحد النبوات، وعدم الإيمان بالبعث والنشور وكثيراً ما يتعمدون تحريف كلمة، أو صرف ظاهره إلى غير مراده، افتياتاً عليه، وانتصاراً لمدعاهم. فضلاً عما وضعوه على لسانه من الكذب والبهتان، كما أثبتته نقلة أخباره. وقد مر بك حديثه مع القاضى المنازى. وكيف اقتضبه الرواة - ليثبتوا وإنكاره للأخرة. ونقل ياقوت والسلوى عن القاضى أبى يوسف عبد السلام القزوينى أنه قال: قال لى المعرى: لم أهج أحداً قط. فقلت صدقت، إلا الأنبياء عليهم السلام! فتغير لونه. أو قال: وجهه. أهـ" ولا أدرى ماذا يثبت هذا الحديث أو ينفيه.

وإليك ما ذكره العلامة ابن الوردى فى تتمه المختصر، وهو من أدق الباحثين فى أمره. قال: "قال لى يوماً بعض أصحابى من الأمراء ذوى الفهم كيف كان أبو العلاء فى اعتقاد البعث؟ فأشددته قوله:

فيا وطنى إن فاتنى منك سابق من الدهر فلينعنم لساكنك البال
وإن استطع فى الحشر آتاك زائراً وتهيأت، لى يوم القيامة أشغال
ويلغنى أن بعضهم زعم أن أبا العلاء كان ينكر النبوات، فهذا مردود
بقول أبى العلاء:

عجبت وقد جزت الصراة رفلة وما خضلت مما تسر بلت أذيال
أعمت إلينا أم فعال ابن مريم فعلت، وهل يعطى النبوة مكسال
وقوله فى شريف:

يا ابن الذى بلسانه وبيانه هدى الأنام ونزل التنزيل
عن فضله نطق الكتاب وبشرت بقدموه التوراة والإنجيل
وقال فى الشريف أبى إبراهيم العلوى الموسوى :

يا ابن مستعرض الصفوف ببدر ومبئيد الجموع من غطفان
أحد الخمسة الذين هم الأغراض راض من كل منطق والمعانى
والشخصى التى خلقن ضياء قبل خلق السموات أو تؤمر
قبل أن تخلق السموات أو تؤمر وافق اسم ابن أحمد اسم رسول
يا أبا إبراهيم قصر عنك الشعر لما وصفت بالقمرآن
أشرب العالمون حبك طبعاً فهو فرض فى سائر الأديان
وقوله :

أيدفع معزات الرسل قوم وفيك وفى بديهتك اعتبار

انتهى كلام ابن الوردى. وما ذكره من الشعر منقول من - سقط الزند
ولقائل أن يقول ما لكم تنتصرون للرجل بكلامه فى سقط الزند، وهو لم
يقصد به بياناً لمذهبه، أو سرحاً لمعتقده، بل جرى فيه مجرى الشعراء فى
أفانيتهم الشعرية، وأخرجه مخرج هيامهم فى كل واد من القول وضرب من
الخيال؛ وهم كما تعلمون يجوزون الكذب، ويقولون مالا يفعلون؛ فشأته فى
ذلك شأنهم ودعواه وعواهم، فإذا مدح شريفاً لم يكن له بد من تقديس
آبائه، والإقرار لجدهم عليه الصلاة والسلام بالنبوة والرسالة، تعظيماً لشأن

المدوح؛ كما لا مندوحة له فى الرثاء عن وصف ما لقيه المرئى من التكريم فى جنات النعيم ليكون قوله مقبولا لدى من يخاطبهم، وأدعى للحظوة عندهم، وإن يكن هو معتقدا له. وما يقال فى هذا يقال فى غيره وإلا للزمكم أنه كان على غير ما تدعون له من الزهد والتقوى، لما أثبتته فى هذا الديوان من الغزل والتشبيب وبكاء الشباب والفخر، وهى الزهد على طرفى نقيض. فلو اقتصرتم على ما فى "لزوم ما لا يلزم" ونحوه من الكتب التى وضعها لبيان فلسفته وآرائه، لسلمتم من هذا النقد!

ونقول فى رد ذلك: ربما كان لما ذكرت وجه من الصحة، إلا أنا لما رأيناكم أخذتم الرجل على بعض ما جاء فى هذا الديوان، واستدرجتم به إلى الطعن فى عقيدته، مع أنه لا يخرج عن الغلو المألوف للشعراء كما بيناه آنفاً - استجزنا أيضاً أن نحجكم بما جاء، فيه من صريح ذكر الحشر، والإيمان بالرسول وإثبات المعجزات" عليهم السلام. وشتان ما بين حجيتنا. على أن ما ادعيتوه لا يصح الحكم به على مطلق شعر يقوله الشاعر، وإلا فالويل للشعر والشعراء بعدئذ.

وبعد، فإننا لم نحكم لأبى العلاء بصحة إيمانه بالرسول والنبوات إلا من أقواله المثبتة لذلك، المصرحة به. فلا ريب فى أن ما يوهم فى ظاهره نقيضها من أقواله الأخرى، مؤول بما يحتمله لفظه، وكثير منها لم يرد به الطعن على الأديان نفسها، بل أراد أهلها ومنتحليها، لتفريطهم فيها أو إفراطهم، كما صرح به فى أقوال أخرى، ستأتى عليها فى هذا الفصل.

وقد رأيت بعض المتعصبين عليه يظفر بالبيت الموهم، فيرديه فداً من غير

نظر لما قبله أو بعده. ولو تدبر لظهر له مراده، ولم يجد سبيلا للطعن عليه.
على أنا مع هذا لا نبرئه رحمه الله من بعض سقطات زل بها لسانه،
ليس فيها جحد للنبوات، ولكن ذكرها لا يخلو من شناعة. وكان الأولى له
التفادى عن نظمها في هذا السمط. ولا مشاحة في عذر من أنكر عليه فيها،
وإنما كلامنا فيمن يرميه بالإلحاد، وهو براء منه، بدليل ما ذكرناه من كلامه
وما سنذكره.

أما من استدل على إنكاره النبوات، وتحكيمه العقل في التحسين
والتقبيح، بقوله:

علم الكائنات في كل وجه أول عنده السمك صبي
خالق النيرات ما يتغابي ال عيبه لكنه ضعيف غبي
أيها الفران خصصت بعقل فاسألته فكل عقل نبي
فقد اخطأ المرمى، ونكب عن سبيل القصد، فإن مراده بقوله "فكل
عقل نبي" أن العقل كاف في الأخبار والدلالة على وجود صانع لهذه
الكائنات، ولا عذر للعبد في جهلة بخالقه، ما دام له عقل ينظر به ويستنيره،
كما يدل عليه سياق الآيات عند التأمل.

وهذه المسألة من المسائل التي قام فيها الخلاف بين أئمة الكلام، وانقسم
فيها أهل السنة إلى قسمين. فذهب جمهور المأثرية وعامة مشايخ سمر
قنداني أنه تعالى لو لم يبعث للناس رسولا لوجب عليهم بعقولهم معرفة
وجوده تعالى ووحدته وانصافه بما يليق به من الحياة والعلم والقدرة وغيرها،

وكونه محدثاً للعالم، وهو أيضاً أرجح قولى الإمام أبى حذيفة رضى الله عنه . وهذب جمهور مشايخ الأشاعرة إلى أنه لا يجب إيمان ولا يحرم كفر قبل بعث الرسل ولا يرد لأنه يقال فى جوابه: لما كان أمر البعث والجزاء مما بشكل على العقل وحده، إلا بعظيم تأمل فيه، وكذلك أنواع العبادات والحدود ونحوها لا تنال بمجرد العقل - كان إرسال الله تعالى رسله وإنزال كتبه، لبيان ذلك. وأصل الخلاف إنما هو فى الأيمان بالله، لا فى أحكام الشرائع. فإن قيل لو كان العقل كافياً فى ذلك لا تقتصر الشرائع على بيان ما ذكرتم، ولم تتعرض لأحكام الإيمان بالله تعالى وتزيهه، وانصافه بصفاته اللائقة ونحوها، اكتفاء بدلالة العقل عليها. قلنا: كان ذلك لزيادة التمكين وتممة البيان، من قبيل توارد الأدلة وتعاقبها. فإنه تعالى لم يدعنا والبيان بأية واحدة، بل من علينا سبحانه بآيات متكررة. وكذلك لم يدعنا ورسولا واحداً من أول الأمر إلى آخره، والحجة كانت قائمة بالواحد كما بقيت بنينا عليه الصلاة والسلام إلى القيامة؛ فلا يدل ذلك على أن الرسول الواحد أو الآية الواحدة لم يكونا حجة كافية.

هذا محصل ما ذكروه فى هذا المقام، ولكن من الفريقين أدلة من الكتاب والسنة يحتج بها لمذهبه، فاطلبها إن شئت فى كتب الكلام، خصوصاً فيما ألفت منها فى "الخلاف بين الماتريدية والأشعرية" وأنظرها أيضاً فى كتب التفسير عند قوله تعالى:

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

ثم بحمد الله وتوفيق عنايته مراجعة هذا الكتاب مراجعة دقيقة على "المخطوطة المحفوظة بدار اللجنة - فجاءت شافية وافية بالغرض المنشود

والغاية المتوخاة - وتحقيقاً لما أشار به المغفور له العلامة المحقق أحمد تيمور
باشا. طيب الله تراه.

سكرتير عام اللجنة وشؤونها الإدارية والثقافية

أحمد ربيع المصرى

المصادر والمراجع

- نزهة الجليس للحسيني ج ١ ص ٢٧٨ : ترجمة أبي العلاء المعري
- روضات الجنات في التراجم طبع العجم ص ٧٣ : ترجمة المعري
- المقتبس ج ٥ ص ٣٥٣ - ص ٣٧١ : ترجمة المعري بقلم الأستاذ معلوف
- المتقطف ج ٤٩ ص ٢٢٥ و ص ٤٦٥ : المعري وفلسفته للأستاذ العقاد
- الريحانة ص ٣٣٤ - ٣٣٥ : الكلام على بلده
- مجلة الشرق ج ٤ ص ١٠٦٨ : كلام عن المعري.
- مسائل ابن السيد ص ١٥٨ : شيء قليل عن الفصول والغايات يلحق
يوصف كتب أبي العلاء المعري.
- البغدادي على شرح بانث سعاد ج ١ ص ١٩٩ : ترجمة المعري وهي
مختصرة حلبة الكميث ٢٤٣ : حكاية المعري مع المنازي.
- مجموع الظرف - لأبي مدين ص ٧٧ : نادرة المعري مع المنازي (في :
وقانا لفحة الرمضاء واد).
- وبعدها في ص ٧٨ : نادرة في شدة إحساسه .
- المحاضرات والمحاورات للسيوطي ص ١٢٣ : ابن القارح كاتب الرسالة
للمعري بغية الوعاة للسيوطي علي ص ١٣٥ : أحمد بن الصنديد العراقي أحد
من روى شعر المعري النخ .
- نكت الهميان ص ١٥٠ : داود عبد الرحمن كان مولعاً بشعر المعري .

سحر العيون ص ٧٦ : (قالوا العمى منظر قبيح) وسبب نظم أبي العلاء له . وفي ص ٧٧ منه : (أبا العلاء يا ابن سليمان) نسبهما لأحد تلاميذ أبي العلاء

سبحة المرجان ص ١٤٢ : أبيات لأبي اليسر أخى العلاء .

المنهل الصافى ج ٥ ص ٨ : نادرة لابن الوحيد وقوله : (أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى) تؤخذ استطراداً . ولعل موضعها شعر المعرى .

جواهر الكثر - لابن الأثير الحلبي ص ٧٤ - ص ٧٧ : مقطعات للمعرى فيها تورية - انظرها فلعلها من شعره المفقود!؟

الشريشى ج ١ - أول ص ٣١٠ : أبيات للمعرى لعلها ليست فى ديوانه .

غرر الخصائص ص ٢٧١ . أبيات للمعرى لعلها لا توجد فى الديوان .

تكلمة الصلة - لابن الأبار ج ٢ - أوائل ص ٥٢١ : أحد من كان عنده شعر المعرى مسموعاً عليه .

وفى أول ص ٥٢٤ : أحد من روى شعر المعرى

شرح مقصورة حازم ص ٧٨ : أبيات لأبي العلاء المعرى يبحث عنها فى ديوانه ولعلها من شعره المفقود!؟

شرح التصريف الملوكى لابن جنى ص ٤٩٥ :

ثم اللات - قيل له فى الإسلام :

تيم الله . وهو أحد الألفاظ التى أزال الإسلام استعمالها .

البغدادى - على شرح بانة سعاد ص ٢١٦ - ٢١٧ : تيم الله ، وتيم

اللات ملح رقم ٦٥٢ - أدب: ينقل منه كثيراً عن المعرى فى الزوميات وغيرها. وفى أوائل ص ٦٣: أبيات لأبى العلاء قال إنها: من كتابه "جامع الأوزان" تذكر عند الكلام عليه وعلى مؤلفاته.

نصرة الثائر ص ٧٢: شىء من رسالة أبى العلاء فى ذم الدنيا

الصفدى على اللامية ج١ ص ١٥٨ وفى ص ١٨٤: سرقة لأبى العلاء.

الصفدى على اللامية ج٢ ص ١١١: سرقة لأبى العلاء ج٢ ص ١٣٦

- ١٣٧: سرقة للمعرى وكأنها مأخوذة من ابن المعتز.

سلك الدرج ج٢ ص ٤٢ - ٤٣: تخميس: "حججوها عن الرياح" ربما

لزم عند ذكر توارده بعد سرقاته.

وفى ج٣ ص ١٣٠: معنى أخذه المعرى عن المتبنى.

نفع الطيب ج١ ص ٣٠٠: سواد القلب والبصر أخذه فى أبى العلاء،

أو توارداً فيه.

شرح كفاية المتحفظ ص ٢١٦: سرقة من أبى العلاء.

الريحانة - أول ص ١٨: سرقة من المعرى.

وفى ص ٢٧١ - ٢٧٢: سرقة داود الحكيم معنى المعرى

العمدة ج٢ ص ٧٨: المشترك الذى لا بعد سرقة.

نصرة الثائر ص ١٦٤ - ١٦٥: بيتان للمعرى نسرقت معناهما.

سفر السعادة النسخة العتيقة ص ٦١: ضبار اسم كلب وشاهد عليه.

وفى ص ٦٣: ضميران كلب للناطقة. وفى أول ص ١٣٢: بيتان فيهما أم

العاديات وفلحس وابن زارع وفي ظهر ص ١٧٨ : (أرى نار قلبي أو يراني بصيرها أي: الكلب الخ . وفي ص ٢٠٣ : نادرة في اسم (معاوية) الف باء جا ص ٣٧٨ - ص ٣٨٣ : الكلاب ونوادرها وفي ص ٤٢٨ : رجل اسمه ذئاب واسم كلبه عمرو .

نفح الطيب ج٢ ص ١٨٧ : خصال الكلب المحمودة التي ذكرها الراعي في شرحه للألفية ونسبها للحسن البصري .

المطرزي على المقاسات ص ٨٩ : تملق الكلب .

الريحانة ص ٢٥٠ : نبج الكلاب عل يالفقراء دون الأغنياء .

بغية الوعادة - للسيوطي ص ٣٧٦ : ترجمة صدر الأفاضل شارح سقط

الزند

مجموع السفيري ص ٩٣ : للبقاعي انتقاء الزند وسماه فوح الزند لعله

قدح أو: فوح الزند .

نفح الطيب ج٢ من ٩٤٠ : أشعار كفرية واعتذار قائلها بأنه قال ما لم

يفعل! الغفران ص ١٣٤ - ١٣٥ : كلام أبي العلاء في الزنادقة .

مجموع السفيري ص ١٩٥ : بيتان رؤيا مكتوبين على قبر أبي العلاء

المعري

عيون التوايخ لابن شاعر ص ٢١٤ : مرثية المعري في أبي الراضى .

ديوان أبي حجلة العسقلاني ٨١١ شعر ص ١٢٩ : تضمينه استغفر الله

في حلي وترحالي .

مجموع الفوائد لابن نباته رقم ٦٧٨ - أدب ص ٢٥ : قول أبي العلاء :

"ولكن لا تدل على النشور" وتوجيهه وأنه لم يلحد .

معاهد التنصيص ص ٢٥٩: قوله " لا أرجو جنة ولا أخاف ناراً " .
رقم ١٣٣ حكمة ص ٩٠ بالحاشية: كلام عن قوله: " قلم لنا صانع
حكيم "

نفع الطيب ج ٢ ص ١٥١: اقرأ الصفحة كلها ففيها كلام في العجز عن
إدراك كنه الله .

ألف باء ج ١ ص ١٧٩: توجيه مشكلات في: صفات الله .
الأبحاث المستردة - للمقيلي ص ١٩: أبيات لعله يصلح أخذها في
معناه: ليست لنا عقول أو نحو ذلك .

ابن الوردى ص ٣٦٢: عدم إنكاره للنبوات .
الجزء الأول من مرآة الزمان لسبط بن الجوزى ص ١٦٤ بيت لأبي العلاء
فيه: " الهرماس يعنى إدريس عليه السلام " .

سرح العيون أول ص ٢٥٥: زعم بعض من يبغض أبا العلاء أنه خرج
لينا جى ربه كما فعل موسى عليه السلام، وكون الحكاية باطلة تمت " بحمد
الله وتوفيقه "
